

حددت شروطه إثر إخضاع الأسرى لتجارب طبية خلال الحرب العالمية الثانية «لجان أخلاقيات البحث العلمي»: ضرورةً تحتاج إلى تفعيل في الدول العربية

ملاك مكي



أخلاقيات البحوث العلمية: الإنسان ليس حقل تجارب

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، أصدرت المحكمة الدولية العسكرية في نورمبرغ في ألمانيا، في العام 1946، أحكاماً تحدد الشروط المطلوبة لإجراء التجارب العلمية على البشر، خاصة بعدما أخضع أسرى الحرب، في معسكري الطرفين، لتجارب طبية، واختبرت فيهم الأسلحة البيولوجية. وتنص تلك الشروط على إبداء الميثاق في التجربة الموافقة الواعية، وحفظ حقه الحر بالتوقف عن المشاركة متى يشاء، وبإحلال التوازن بين المخاطر والمنافع. وفي العام 1948، لحظ «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان»، الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، تلك الحقوق التي ركز عليها أيضاً «إعلان هلسنكي» الصادر في العام 1946، وتعديلاته الصادرة في الأعوام 1975 و1983 و1989 و1996 و2000.

وخلال العقدين الماضيين، ومع تقدم العلوم والتكنولوجيا والأخلاقيات التي تطرحها، دعت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، ولجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، ومنظمة الصحة العالمية، إلى ضرورة تشكيل لجان

تختص بأخلاقيات البحث العلمي، وتعمل على الحفاظ على كرامة الإنسان وخصوصيته، وعلى عادات الأفراد والمجتمعات، وتفادي إلحاق الضرر بها

وقد قدم العرض التاريخي لمسئور لجان «أخلاقيات البحث العلمي» الرئيس الأسبق لهيئة الطاقة الذرية في مصر وأستاذ البيولوجيا الإشعاعية الدكتور حامد رشدي القاضي، خلال مشاركته في المؤتمر الإقليمي الثاني الذي نظمته «برنامج سليم الحص للأخلاقيات الطبية والمهنية في الجامعة الأميركية في بيروت»، بالتعاون مع «اليونسكو» و«المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة» (إيسيسكو)، برعاية «كليفلاند كلينك»، وحمل عنوان: «الجدل الحالي في سلوك البحث: سلامة البحث، لجان أخلاقيات البحث والتجارب السريرية الدولية»، وقد اختتمت أعماله أمس الأول

وأكد القاضي أن «أخلاقيات البحث العلمي هي جزء من تعايش الإنسان مع البيئة، وهي حصيلة للتعاليم الدينية والمجتمعية والتقاليد في الماضي والحاضر والمستقبل، إذ يهدف البحث العلمي إلى الارتقاء بالبشرية والحياة على الأرض.» وأشار رئيس «لجنة أخلاقيات البحث العلمي بالمعهد القومي لأبحاث الأمراض المستوطنة والكبد» في القاهرة الدكتور هاني سليم، لـ «السفير»، إلى أن «البلدان العربية تشهد اليوم زيادة في عدد لجان الأخلاقيات في الجامعات والمستشفيات والمراكز البحثية، غير أن عمل تلك اللجان ما زال غير مراقب بشكل فعال ويواجه هذا المجال معوقات عدة كنعق في التدريب، وعدم إدراك لأهمية أخلاقيات البحث العلمي، ومشكلة منظومة البحث في تلك البلدان.» ولحظ سليم أن «لجان أخلاقيات البحث تخضع لمراقبة أشد في البلدان المتقدمة من تلك الموجودة في البلدان النامية، حيث لا يتوفر نظام رقابي واضح وشامل» وذكر سليم، لكونه باحثاً رئيسياً في مجموعة بحثية تضم عدداً من الخبراء من مصر وجنوب أفريقيا، أن «المجموعة تعمل على تطوير موقع إلكتروني يساعد اللجان في الدول النامية على تقييم أداؤها وجودتها.»

كما يلفت سليم إلى أن أخلاقيات البحث العلمي «يجب أن تراعي الخصائص الاجتماعية والتقاليد، فعلى سبيل المثال، تشجع الثقافة العربية مفهوم الفردية، وتنص ميادئ الحصول على الموافقة المستنيرة من الفرد، أن يكون قراره ذاتياً ومستقلاً. في المقابل، تبين المعطيات بأنه تم التوقف عن استكمال بحث علمي في تايبوان لعدم موافقة كبار العائلة على مشاركة الأبناء في تلك التجارب.»

أما الدكتورة في كلية الطب في «جامعة قناة السويس» ميرفت الشيراوي الغريب فأوضحت أن «عدد لجان الأخلاقيات ارتفع في مصر إلى ما يقارب الخمسين لجنة، وبرتوكولات الأبحاث التي يجريها طلاب الماجستير والدكتوراه تخضع لفحص تلك اللجان، غير أن مصر والبلدان العربية الأخرى ما زالت تفتقر إلى القوانين والتشريعات التي تنظم أخلاقيات البحث العلمي وتجزم وتعاقب من يخالف القواعد الأساسية»

كذلك، شرحت الأستاذة الجامعية في كلية الطب في «جامعة دمشق» الدكتورة رائدة الخاني أنه «تم إنشاء لجان لأخلاقيات البحث العلمي في الكليات الصحية في جامعة دمشق في العام الحالي، وتقوم اللجان بمناقشة الأبحاث قبل إجرائها وبمعرفة مدى التزامها بأخلاقيات البحث العلمي.» وكريسة تحرير مجلة «جامعة دمشق للعلوم الصحية»، تشدد الخاني على أن «المقالات التي تخالف أخلاقيات البحث العلمي لا يتم نشرها، كأن يقوم الباحث بإجراء التجارب السريرية على البشر بشكل مباشر ومن دون المرور بالمراحل المخبرية والتجارب على الحيوان، أو كأن يعمل الباحث على إعطاء المريض المشارك في البحث دواء وهمياً على الرغم من توفر دواء علاجي، فالمريض وإن كان مشاركاً في البحث، يجب أن يحصل على العلاج الذي يخفف من آلامه.. أو كأن يقوم الباحث بإعطاء معلومات غير دقيقة، أو سرقة أعمال الآخرين.»

وبهدف تفعيل دور الأبحاث العلمية في البلدان الإسلامية والعربية، إعتبر نائب عميد «كلية التربية الرابعة في جامعة دمشق» السوفسور طاهر سلوم أنه «من الضروري التوسع في الإفتاء في مختلف مجالات البحث العلمي، إذ لم يعقبولاً من العلماء والباحثين الانتظار بحجة عقبات غير مبررة فالدين الإسلامي يتفق مع الكثير من أسس البحث العلمي الحديثة كاعتماد العلم على العقل، حيث وردت الآية الكريمة «أفلا تعقلون» 24 مرة في القرآن الكريم، وكان النظر إلى المسائل على أنها غير ثابتة حيث ميز المسلمون بين المعرفة الغيبية والحسية التي تعتمد على الحواس والملاحظة والتجربة.»

كما أكد الخبير في مديرية العلوم في «إيسيسكو» الدكتور إسماعيل عبد الحميد أن «المرظمة تعمل على تفعيل دور الاجتماعات واللقاءات الخاصة بأخلاقيات البحث العلمي، ما يسمح للمختصين في ميادين عدة، كالقانون والشريعة الإسلامية والعلوم الأساسية والتطبيقية والإعلام، طرح القضايا والمسائل الخلاقية وتبادل الآراء لفهم أعمق لحيثيات البحث العلمي وأخلاقياته.»

وعلى هامش المؤتمر، كشفت مديرة «برنامج سليم الحص للأخلاقيات الطبية والمهنية» الدكتورة تاليا عراوي أن «البرنامج سيعمل في الفترة المقبلة عن إنشاء المجمع العربي لأخلاقيات الطب الحيوي.»

ملاك مكّي